

رشفة ثقافية مع أبي علي - الفكاهة والهزل في الشعر القديم (1 من 4)

- توطئة:

الفكاهة (الطرف) عند العرب الأقدمين جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية، تعددت وتنوعت أشكالها لتشمل الشعر والنثر والقصص والحكايات. لم تكن الفكاهة مجرد وسيلة للتسلية والترفيه لدى العربي القديم، بل كانت أداة للتعبير عن الآراء والمشاعر، ونقد المجتمع، وتوثيق الأحداث التاريخية وكانت وسيلة للخروج من المأزق والمواقف المحرجة في الكثير من الأحيان.

✓ خصائص الفكاهة العربية:

تميزت الفكاهة العربية القديمة بالعديد من الخصائص، منها:

• البلاغة والفصاحة: كان العرب يشتهرون بقدرتهم على استخدام اللغة ببراعة، وقد استخدموا هذه القدرة في الفكاهة لخلق تأثيرات مضحكة ومؤثرة.

• السخرية والنقد الاجتماعي: لم يتردد العرب في استخدام الفكاهة لانتقاد العادات والتقاليد والأشخاص الذين يرونهم غير مناسبين وبرعوا في توظيف المقامات في السخرية كأمثال مقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني، باستخدام: التورية واللعب بالألفاظ والمبالغة في تضخيم الأحداث .

• القصص والحكايات: كانت القصص والحكايات الفكاهية شائعة في المجالس والأسواق، وكانت تستخدم لإضفاء جو من المرح والبهجة.

• الشعر الفكاهي: كان الشعر الفكاهي من أكثر أشكال الفكاهة شيوعاً، وقد استخدم الشعراء الفكاهة للتعبير عن مختلف جوانب الحياة، من الحب والغزل إلى السياسة والمجتمع.

- ظهور الشعر الفكاهي:

وبدا ظهور هذا النوع من الشعر في العصر العباسي ليكون وسيلة للترفيه والإضحاك والتسلية إذ يتطلب هذا الشعر الذكاء والنباهة وسرعة البديهة فضلًا عن النوادر اللاذعة:

• التعريف: كان العرب القدماء يشتهرون بالنوادر- وهي قصص قصيرة ومضحكة تهدف إلى إضحاك المستمعين.

• المناسبات الاجتماعية: كانت الفكاهة تستخدم في المناسبات الاجتماعية، مثل الأعراس والاحتفالات، لإضفاء جو من المرح والبهجة.

• الحكمة: لم تخل الفكاهة العربية القديمة من الحكمة، فكثيرًا ما كانت القصص والحكايات الفكاهية تحمل في طياتها دروسًا وعبرًا.

وقد تركت لنا تلك الفترة الزمنية العديد من الأمثلة على الفكاهة العربية القديمة، مثل قصص جحا وأشعار أبي نواس، والتي لا تزال تثير الضحك والمتعة حتى يومنا هذا.

- خصائص الشعر الفكاهي:

• خصائص الشعر والادب الفكاهي:

يتميّز أدب الفكاهة والهزل بالخصائص الآتية:

✓ الخفة والظرافة

✓ ذكاء صاحب الفكاهة؛ - النظر الثاقب من قِبل الفكاهيِّ

✓ الموهبة الأصيلة؛ لتكون فكاهته خفيفة لطيفة من دون تصنُّع.

◆ أنواع الفكاهة والهزل

تنوّعت أساليب الفكاهة والهزل في الأدب العربي، فإما أن تكون فطّنة لاذعة، أو لطيفة رقيقة ناعمة والفكاهة أنواع وأشكال متعددة وهي كما يلي:

1. الطَّرْفُ : الطريف مأخوذ من الطرف الذي هو الوعاء فكانه وعاء لكل لطيف وقد يقال طريف لمن حصل فيه بعض هذه الخصال ويقول الكسائي الطريف الحسن الوجه واللسان. والطرف يعتمد على خلفية ذهنية، وخبرات في الحياة اليومية، والطرف يجعل الناس يضحكون فجأة على عكس الفكاهة التي تركز على رسم الابتسامة.

وسوف يكون حديثنا مقصورا على الشعر وما ورد في قصائد الشعراء من طرف وتهكم وتندر ومن ذلك

2. التهكّم: عند التهكم يحرص القاصُّ على إظهار الضعف الإنساني ويضخّمه ليجعله موقفاً مضحكاً، ويحاول المتهكم أن يعالج الحماقة من خلال إضحاك الناس عليها.

3. السخرية: أقسى من التهكم لأنها تعتمد لغة لاذعة، السخرية من مادة (س خ ر) وأصل التسخير: التذليل، جاء في اللسان: سخرته: أي قهرته وذللته.

- تاريخ الفكاهة

الفكاهة كانت ولا تزال من أعرق الفنون التي يضمها علم العرب كما كان يسمى في صدر الإسلام أو الآداب كما أطلق عليه منذ القرن الثاني الهجري وتغير الحال في القرن الثالث الهجري حيث صارت الآداب تطلق على فنون المنادمة وما تفيض به من الفكاهة والهزل والطرف والسخرية وأسباب الطرب وقد ألف كشاجم الشاعر كتابه أدب النديم وأودعه كما قال ما لا يستغنى عنه ولا يجوز أن يخل به طريف. وظهرت طائفة أخرى من مشاهير العلماء في فجر الإسلام وضحاها قد ألّفوا في هذا الباب ومنهم

- الجاحظ وما كتبه عن البخلاء والطفيليين

- الخطيب البغدادي في كتابه (التطفيل)

- والحصري القيرواني صاحب زهر الآداب في كتابه (جمع الجواهر في الملح والنوادر)

- وعبد الملك الثعالبي صاحب اليتيمية في كتابه (غرر النوادر) و(من غاب عنه المطرب)

- وأبو سعيد السلامي في كتابه (نتف الطرف)

- والمرزباني صاحب الموشح في كتابه (المستطرف)

- ثم الحافظ العلامة ابن الجوزي في كتابه (أخبار الطراف والمتماجنين)

والحق أن هذه الكتب لا تخلو إلى جانب الفكاهة من الفوائد العلمية والأدبية بل انها تمثل سجلاً صادقاً بتاريخنا السياسي والاجتماعي على وجه الخصوص .

خاتمة

الظريف والظرف يجعل الناس يضحكون فجأة على عكس الفكاهة التي تركّز على رسم الابتسامة. وسوف يكون حديثنا مقصوراً على الشعر وما ورد في قصائد الشعراء من طرف وتهكم وتندر ومن ذلك ما جاء على لسان أحد الشعراء (أبو نواس) هجائه لبني تميم وتعييرهم بأنهم يأكلون الضب الذي يدل على الفقر والمسغبة ولا يتلاءم مع ما يدعون من مفاخر الحياة قال :

أَلَا حَيٌّ أَطَّلَا بِرَسَيْحَانَ وَالْعَذْبِ

إِلَى بُرْعٍ وَالْبَيْتِ بَيْتِ أَبِي زُعْبِ

تَمُرٌّ بِهَا عُفْرُ الطَّيْبَاءِ كَأَنَّهَا

أَخَارِيدُ مِنْ رُومٍ يُفَسِّسَنَّ فِي نَهْبِ

إلى أن يقول :

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا

فَقُلْ عُدِّ عَنَّا كَيْفَ أَكَلْنَاكَ لِلضَّبِّ

تَفَاخُرُ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ سَفَاهَةٌ

وَبَوْلُكَ يَجْرِي فَوَقَّ سَاقِكَ وَالكَعْبِ

ومن الساخرين العظماء الذين نبغوا في العصر العباسي وذاع صيته وهو من أهم مصادر الفكاهة والسخرية في التراث العربي (ابن الرومي) ومن سخريته قال يصف الشاعر البحتري:

الْبُحْتَرِيُّ ذَنْوَبُ الْوَجْهِ نَعْرُفُهُ

وما رأينا ذَنْوَبَ الْوَجْهِ ذَا أَدْبِ

أَنْزَى يَقُولُ مِنَ الْأَقْوَالِ أَثَقَبِيهَا

من راح يحملُ وجهًا سايغَ الذَنْبِ

أَوْ لَى بِرِمَانٍ عَظُمَتْ فِي النَّاسِ لِحِيَّتُهُ

من نَحَلَةَ الشَّعْرَ أَنْ يُدْءَى أَبَا الْعَجْبِ

وَحَسْبُهُ مِنْ حِيَاءِ الْقَوْمِ أَنْ يَهْبُوا

له قفاهُ إِذَا مَا مَرَّ بِالْعُصْبِ

ما كنت أحسبُ مكسوسًا كَلْحِيَّتِهِ

يُغْفَى مِنَ الْقَفْدِ أَوْ يُدْءَى بِلا لِقْبِ

جحلة البرمكي أحد الطرفاء العصر العباسي البارزين يُحِبُّ المِجَالِسَةَ وَالْمُؤَانِسَةَ: (أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك . . 224هـ - 324هـ) ومن لَقَّبَ بِهِ "بجحلة" ابن المعتز ولقد كان فقيرًا -على عكس أجداده البرامكة- وكان أديبًا وكاتبًا وراويًا وشاعرًا و كان معمرًا . ومما يروى عنه أنه قال: قالبا قصيدة الفرزدق المشهورة في مدح الامام علي زين العابدين قال :

وَ قَائِلٍ قَالِ لِي مَنَ أَنتَ قُلْتَ لَهُ

مَقَالَ ذِي حِكْمَةٍ وَ اتَتَ لَهُ الْحِكْمُ

لَسْتُ الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَ طَأْتَهُ

وَ الْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَ الْحَيْلُ وَ الْحَرَمُ

أَنَا الَّذِي دِينُهُ إِسْعَافُ سَائِلِهِ

وَ الضُّرُّ يَعْرِفُهُ وَ الْبُؤْسُ وَ الْعَدَمُ

أَنَا الَّذِي حُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ أَفْقَرُهُ

وَ الْعَدْلُ مُسْتَعْبِرُهُ وَ الْجَوْرُ مُبْتَسِمُهُ

انتهى الجزء الأول

...